الدرس (٠٩٠) من شرح رياض الصالحين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للّه رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فنواصل قراءتنا في هذا الكتاب المبارك كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، لأبي زكريا النووي رحمه الله تعالى.

يقول المصنف أبو زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله تعالى:

٤٦- باب فضل الحب في الله والحث عَلَيهِ
وإعلام الرجل من يحبه ، أنه يحبه ، وماذا يقول لَهُ إِذَا أعلمه

هذه التَّرجمة عقدها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لبيان فضل التَّحابِّ في الله عز وجل، بأن يُحِبَّ الرَّجل أخاه لا يُحِبُّه إلَّا لله، لا لمقاصد دنيويَّة ولا لأطماع، ولا لأيِّ أغراض أخرى، وإنَّما يُحِبُّه لأجل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا شكَّ أنَّ هذا من أوثق عرى الإيمان، وقد جاءت النُّصوص في كتاب الله وسُنَّة نبيِّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ دالةً على فضل هذا الأمر وعظيم شأنه، وحاثَّةً عباد الله المؤمنين عليه.

وجاءت السُّنَّة عن رسول الله ﷺ بأنَّ الرَّجل عليه أن يُعْلِم أخاه بأنَّه يُحِبُّه إذا أحبَّه في الله ، وأيضًا إذا أخبره بذلك، فما الَّذِي يقوله له أخوه جوابًا لإخباره، فهذه مسائل وفوائد مُهِمَّة في هذا الباب، عقد المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هذه التَّرجمة لبيانها.

يقول المصنف رحمه الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ إِلَى آخرِ السُّورة [الفتح:٢٩].

في هذه الآية بيان ما كان عليه الصَّحابة رضي الله عنهم وأرضاهم من تراحم وتعاطف وتوادٍّ وتحابٍّ في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فشأنهم كما قال الله: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه.

يقول المصنف رحمه الله تعالى:

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر:٩].

أي: أنَّ الأنصار الَّذِين تبوَّءوا الدَّار: وهي المدينة، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: المهاجرين الَّذِين تركوا ديارهم وأموالهم، وهاجروا إلى الله ورسوله ﷺ، فوصف الله الأنصار بقوله: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ وهذه محبَّة عظيمة قامت في قلوب الأنصار، وهي محبَّة في الله عَزَّوَجَلَّ، فلمحبتهم لله ولرسوله ﷺ، أحبوا أحبابه، وأحبوا من نصر دينه.

يقول المصنف رحمه الله تعالى:

٣٧٥- (وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١)).

جمع النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في هذا الحديث بين أمورٍ ثلاثة، وأخبر أنَّ من اجتمعن فيه، وجد بِهِنَّ حلاوة الإيمان:

١- **الأوَّل: «أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»** وهذا بيان الأصل في المحبَّة أن تكون محبَّة الله عَزَّوَجَلَّ ومحبَّة الرَّسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهي تابعة لمحبَّة الله؛ أحبَّ إلى المرء مـمَّا سواهما، أي: من أهل ومال وتجارة وعشيرة وغير ذلك.

٢- **والأمر الثَّاني: «أَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ»** وهذا فرعٌ عن الأوَّل، فإذا أحبَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقدَّم محبَّته على محبَّة ما سواه، وأحبَّ رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومحبته تابعة لمحبَّة الله، يلي ذلك ويتبعه: «**أَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ**» وهذا هو موضع الشَّاهد من ذكر هذا الحديث لهذه الترجمة.

---

(١) رواه البخاريُّ (١٦)، ومسلم (٤٣).

٣- **والأمر الثَّالث:** نفي ما يضاد هذه المحبَّة، وتفريغ القلب منه، قال: «**وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**» أي: أن يقوم في قلبه كراهيةٌ شديدةٌ للكفر، وبغضٌ شديدٌ له، مثلما يكره أن يقذف في النَّار.

فمَن اجتمعت فيه هذه الأوصاف وجد بهنَّ حلاوة الإيمان، كما أخبر بذلك الرَّسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وذلك بثلاثة أمور تكميل هذه المحبة، وتفريعها، ودفع ضدها. " فتكميلها " أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فإن محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا يكتفى فيها بأصل الحب، بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما كما تقدم. " وتفريعها " أن يحب المرء لا يحبه إلا لله. " ودفع ضدها " أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهيته الإلقاء في النار".

يقول المصنف رحمه الله تعالى:

٣٧٦- (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حُسْنٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢)).

هذا الحديث ذكر فيه النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سبعة أصناف من النَّاس، كُلُّ صنفٍ تحته من الأفراد ما لا يحصيه إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ قوله: «**سَبْعَةٌ**» ليس المراد سبعة أفراد، وإنَّما سبعة أصناف، وكُلُّ صنفٍ من هذه الأصناف تحته من الأفراد ما لا يعلمه، ولا يحيط به، ولا يحصيه إلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(٢) رواه البخاريُّ (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

وذكر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّ هؤلاء السَّبعة يُظِلُّهم الله في ظلِّه، أي: ظلِّ عرشه يوم القيامة، يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١- **الأوَّل منهم: الإمام العادل**، أي: الَّذِي ولي شيئًا من أمر المسلمين، فقام عليهم بالعدل والقسط، لا يظلم، ولا يجور، ولا يتعدَّى، ولا يبغي على أحد.

٢- **والثَّاني: «شَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»** أي: منذ نشأته وهو على الاستقامة والتَّديُّن، والبعد عن المُحَرَّمات والمنكرات، والمحافظة على الطَّاعات والواجبات والفرائض، منذ نشأته وهو في عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا تعرف له صبوة بانحراف أو انحلال.

٣- **والثَّالث: «رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ»** أي: أنَّ قلبه مرتبط تمامًا بالمسجد، إذا خرج من المسجد اهتمَّ قلبه للعودة إليه، فليس له همٌّ مثل همِّه ببيوت الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو مُعَلَّقٌ بها، والبدن تابعٌ للقلب، إذا أحبَّ القلب المسجد وتعلَّق به، فإنَّ صاحبه يبكر إليه، ويكثر من الجلوس فيه، ويرابط فيه منتظراً الصَّلاة بعد الصَّلاة.

٤- **والرَّابع: «رَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ»** وهذا موضع الشَّاهد من هذا الحديث للتَّرجمة: ألا وهو التَّحابُّ في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بحيث يكون الاجتماع على ذلك، والتَّفرُّق على ذلك، متحابِّين في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا فيه: عظيم ثواب التَّحابِّ في الله، وأنَّه من موجبات أن يفوز الإنسان بأن يكون من السَّبعة الَّذِين يُظِلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه.

٥- **والخامس من هؤلاء: «رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حُسْنٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ»** أي: اجتمع فيها الحسن والجمال، فهي حسنة وجميلة، وفي بعض الرِّوايات: «**ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ**»، أي: لها منصب ومكانة، وأيضًا في الوقت نفسه جميلة، «**فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ**» أي: لا يمنعني من مطاوعتك فيما تدعوني إليه إلَّا خوفي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا شكَّ أنَّ هذا الخوف من الله هو ثمرة المراقبة، وعلم القلب بأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُطَّلِعٌ عليه، وأنَّه لا تخفى عليه خافية سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهذا فيه: ثواب عظيم، ثواب ترك المعاصي، ولا سيَّما هذه الفاحشة الزِّنا لا لشيءٍ إلَّا خوفًا من الله، من النَّاس مَن يتركه مثلًا خوفًا من الفضيحة، ومنهم مَن يتركه مثلًا خوفًا من المرض، وأسباب أخرى، لكن هذا الثَّواب إنَّما ينال إذا تركه مع التَّمكُّن منه، والقدرة عليه، وقوَّة الدَّاعي إليه خوفًا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٦- السَّادس من هؤلاء: «رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا» أي: أراد أن تكون سرًّا بينه وبين الله، ومن شدَّة إخفائه لها، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»**.

٧- والسَّابع من هؤلاء: «رَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» أي: كان فيض عينيه بالدُّموع وهو خالي وحده، بينه وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لأنَّ العين قد تفيض بالدَّمع مراءةً للنَّاس وإظهارًا للخشوع والتَّخشُّع، لكن إذا كان بينه وبين الله في مكانٍ خالٍ لا أحد يطَّلع عليه، فهذا ثمرة الإخلاص، فكان حريًّا بهذا الثَّواب العظيم الأجر الجزيل.

فهؤلاء سبعة ذكرهم النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في هذا الحديث، وذكر أنَّ ثوابهم عند الله عَزَّوَجَلَّ أنَّه يُظِلُّهم في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، والشَّاهد منهم: الرَّجلان اللَّذان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه.

يقول المصنف رحمه الله تعالى:

٣٧٧- (وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٣)).

هذا حديثٌ قدسيٌّ عظيم، فيه هذا الثَّواب الَّذِي أعدَّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يوم القيامة للمُتَحَابِّين بجلال الله، أي: الَّذِين أحبَّ بعضهم بعضًا لله وفي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليس لأيِّ غرضٍ آخر، فأثابهم الله عَزَّوَجَلَّ هذا الثَّواب بأنَّه يوم القيامة يُظِلُّهم في ظلِّه جَلَّ وَعَلَا، يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه.

---

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٦).

قال ابن تيمية رحمه الله: "فقوله أين المتحابون بجلال الله تنبيه على ما في قلوبهم من إجلال الله وتعظيمه والتحاب فيه وبذلك يكونون حافظين لحدوده دون الذين لا يحفظون حدوده لضعف الإيمان في قلوبهم وهؤلاء الذين جاء فيهم الحديث حقت محبتي للمتحابين في وحقت محبتي للمتجالسين في وحقت محبتي للمتزاورين في وحقت محبتي للمتباذلين في والأحاديث في المتحابين لله كثيرة".

يقول المصنف رحمه الله تعالى:

٣٧٨- (وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٤)).

وهذا الحديث أيضًا فيه: فضل التَّحابِّ في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وذلك في قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا**» فقوله صلى الله عليه وسلم: «**وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا**» هذا نفيٌ للإيمان الواجب، فالحديث يفيد أنَّ من واجبات الإيمان الَّتِي لا يتمُّ الإيمان الواجب إلَّا بها، أن يتحابَّ أهل الإيمان في الله عَزَّوَجَلَّ، حتى تكون الرابطة الإيمانيَّة بينهم أوثقَ الرَّوابط.

وممَّا يعينهم على هذا التَّحابِّ ويقوّيه ويمتِّنه بينهم: إفشاء السَّلام، ولهذا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بينكم**» فإفشاء السَّلام والعناية الدَّقيقة به إلقاءً وردًّا يُقَوِّي هذه الصِّلة ويمتِّنها، ولا سيَّما إذا صحب السَّلام البشاشة وطلاقة الوجه وحسن اللِّقاء، وحسن التَّرحيب، ونحو ذلك، فهذا كلُّه مما يزيد المحبَّة.

ومما يعين على تمتين هذا التحاب البعد عن كل أمر يضعفه كما في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- « لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ

---

(٤) رواه مسلم (٥٤).

تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا ». وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ « بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ ».

وروى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- « لاَ تَقَاطَعُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَكُونُوا إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ».

وفي الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « لاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ ».

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

يقول المصنف رحمه الله تعالى:

٣٧٩- (وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا...»، وذكر الحديث إِلَى قولِهِ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٥)، وقد سبق بالباب قبله).

هذا الحديث تقدَّم معنا في التَّرجمة الماضية، لكن فيه من الفوائد ما يتعَلَّق بهذه التَّرجمة: أنَّ مَن أحبَّ أهل الإيمان لا يُحِبُّهم إلَّا لله، أحبَّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذه أعظم غنيمة: أن يفوز العبد بِحُبِّ الله ربِّ العالمين جلَّ في علاه له، وذلك ببذل هذه الأسباب، بأن يُحِبَّ أهل الإيمان، أهل الطَّاعة، أهل التَّقرُّب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيفوز بهذا الثَّواب من الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ مَن أحبَّ أهل الخير والفضل، أحبَّه الله عَزَّوَجَلَّ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ.

---

(٥) رواه مسلم (٢٥٦٧).

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.